لقد طرحت، كما هو معروف، البريسترويكا، أول ما طرحت، على شكل انتقاد (في اطار الاشتراكية العلمية) للثغرات الاقتصادية، والادارية، في البلاد. بدت وكأنها استمرار لخط الامين العام السابق للحزب الشيوعي السوفياتي، يوري اندروبوف، وركّزت على الدمقرطة (democratization) والمعركة ضد البيروقراطية، وضد عبادة الشخصية.

ربما لو علمت، مسبقاً، الاحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية، ومن ذلك في الاتحاد السوفياتي، ان الاصلاحات البريسترويكية تنطوي، في داخلها (أو في مجرى الاحداث الناتجة)، على العودة الى الرأسمالية، على الصعيدين، الداخلي والخارجي، والى اقتصاد السوق الرأسمالي، والى العلاقات الرأسمالية، وعلى اضعاف القدرة الدفاعية لحلف وارسو وللاتحاد السوفياتي (دون خطوات غربية مماثلة)، وعلى تغيير النسيج الاجتماعي للحزب، وخلق الظروف الملائمة للمحاولات الانفصالية في الجمهوريات الاتحادية، وعلى منح الدول الأجنبية امتيازات اقتصادية، وغير اقتصادية، لاتخذت تلك الاحزاب الخطوات الضرورية للدفاع عن نفسها. طبعاً، الاحزاب نفسها مسؤولة الى هذا الحد، او ذاك، عن كل ما جرى؛ ولكن هذا موضوع آخر.

ربما كان اعتبار الاحداث، التي جرت في اوروبا الشرقية، شأناً داخلياً؛ بل من الضروري اعتبارها كذلك، ومن الضروري ان تبذل بلدان العالم الثالث كل محاولة ممكنة للحفاظ على الصداقة والعلاقات المتكافئة المعتادة مع بلدان اوروبا الشرقية. لكن، على الرغم من ذلك، ثمّة انعكاس كبير لتلك الاحداث على البلدان النامية، ولا بدّ من أخذه في الاعتبار.

لقد طفا على السطح الاعلامي، في الاتحاد السوفياتي، ما يؤلف، في رأي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، نسقاً من الاعضاء، الذين «يخوضون معركة ضد الحزب من مواقع راديكالية ـ مزيّفة... لقد قاموا بهجوم على الأسس الفكرية، والتنظيمية، للحزب الشيوعي السوفياتي، وبعضهم يشتم، مباشرة، لينين، واللينينية. وفي هذا المجال، يجذب الانتباه نشاط الاشخاص الملتفّين حول ما يسمّى بـ' المبادىء الديمقراطية' »[٣].

أغلب أفراد النسق المذكور، ونظائرهم من غير الحزبيين، يرون في الغرب مثلاً أعلى، ويعزفون، في أدبياتهم، على وترين، شتيمة بلادهم وتمجيد الرأسمالية. لقد شتموا كل شيء يتعلق بالاتحاد السوفياتي، حتى الانتصار في الحرب الوطنية السوفياتية العظمى، التي لها أهمية دولية، وتاريخية، اضافة الى اهميتها الوطنية. وفي رأي بعضهم، يقف تجاه مراكز الرأسمالية الدولية الاتحاد السوفياتي المتخلف، المشوّه، الذي يدعى «قوة عظمى» كمجاملة؛ فهو يشبه، حقاً، كما قال هلموت شميت، «فولتا العليا بسلاح نووي»[٤]، وسكانه لم يكونوا كائنات انسانية[٥].

اكتشف بعضهم ان المجتمع الاشتراكي هو مجتمع سوق مشوّه، والمجتمع الرأسمالي هو مجتمع سوق طبيعي[٦].

بالنسبة الى القضية الفلسطينية، قال وزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزه، في خطابه في مجلس الشعب المصري، في ٢٣/٢/١٩٨٩، في القاهرة[٧]، ان الحل الاساسي وجد منذ زمن طويل، في العام ١٩٤٧، في القرار الرقم ١٨١، الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة، والذي نصّ على تقسيم فلسطين. والمهمة، «التي تقع علينا، وتفرضها الوقائع، اليوم» هي ضمان ان يستطيع الشعب الفلسطيني ممارسة حقه في تقرير المصير، وان تعاد الاراضي التي أُخذت من العرب، وان تجد